

دعوة للغرب لإعادة اكتشاف الإسلام !

قصة حياة المستشرق الفرنسى رينيه جينو مليئة بالإثارة. فقد بدأ منذ شبابه المبكر رحلة البحث عن الحقيقة، وعاش فترات من حياته مستغرقا فى دراسة الأديان والعقائد واحدة واحدة متبعا فى ذلك القاعدة التى وضعها لنفسه وهى: (لكى يدرك الإنسان كنه النور فعليه أن يحاول الصعود إلى مصدره فى تجربة ذاتية متفردة).. وقد عاش فى المسيحية سنوات وانتقل منها إلى الماسونية ثم تفرغ لدراسة فلسفات الشرق، وأخيراً هُدى إلى الإسلام. وبعد سنوات طويلة من القراءة والتأمل والحياة فى البلاد الإسلامية اعتنق الإسلام واختار لنفسه اسم (عبد الواحد يحيى). وكان للإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود الفضل فى تعريفنا بهذا المنصف العظيم للإسلام وبمدى إخلاصه وتفانيه فى الإيمان، حتى إن د. عبد الحليم محمود كان يسميه (العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى).. وبعد ذلك كان الفضل فى تقديم فكره للدكتورة زينب عبد العزيز أستاذة الحضارة والباحثة فى القضايا الإسلامية.

والمفاجأة الأولى لمن يقرأ سيرة حياة رينيه جينو أنه ولد فى فرنسا فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٦ وتوفى فى ٧ يونيو ١٩٥١ فى القاهرة التى أحبها وعاش فى رحاب مساجدها ومكتباتها. وقد أحب العلوم الرياضية والطبيعية فى دراسته الثانوية حتى حصل على البكالوريا ثم التحق بجامعة السوربون ليحصل على ليسانس فى الفلسفة وحصل منها على الدكتوراه. وفى سنة ١٩١٠ التقى بالفنان المصور السويدى إيفان آجلى الذى كان قد أسلم واختار لنفسه اسم (عبد الهادى) وعاش فى القاهرة سبع سنوات درس فيها التصوف الإسلامى وأصبح متصوفا فكان لهذا المصور تأثير كبير على فكره ومشاعره فأصبح هو الآخر متصوفا كبيرا.

وفى سنة ١٩٣٠ سافر رينيه جينو إلى القاهرة واستقر على مقربة من الأزهر ثم تزوج بمصرية وحصل على الجنسية المصرية فى سنة ١٩٤٨ وأنجب فتاتين هما: فاطمة وليلى وولدين هما أحمد وعبد الواحد. وتلخص لنا الدكتورة زينب عبد العزيز أفكاره الأساسية فى رفضه لأن تكون المادة

والحياة المادية هي الغاية أو الحدود النهائية للإنسان أو أن تكون معيارا لكل شيء. لأنه كان يؤمن إيمانا عميقا بالعالم الآخر وبالغيب الذى لا يمكن لبشر أن يصل إليه ولا يعلم أبعاده إلا الله.. وعلى الجانب الآخر كان يرى أن الغرب قد ضل الطريق منذ أن انفصل عن الروحانيات واستغرقته الماديات. وأن الشرق هو الذى ظل محتفظا بالقيم الروحية وبالإيمان بالعالم الآخر وما وراء الطبيعة.. وفي مؤلفاته التى بلغت عشرين كتابا وعشرات المقالات كانت المحاور التى يدور فيها فكره هي: الإنسان، والكون، والعالم الحديث، وعالم التراث. وهو ينتقد فى كتبه الأوهام الغربية حول عبادة الحضارة المادية والإيمان بالعلم دون ارتباط بالخالق الحقيقى الذى يحكم الكون والإنسان واليه المصير. وهو يدعو إلى تزواج الحضارة الغربية بروح الشرق الإسلامية بشرط ألا يكون ذلك بسيطرة الغرب على الشرق أو العكس، فهو لا يدعو إلى ذوبان الشرق فى الغرب أو الغرب فى الشرق ولكنه يدعو إلى التفاعل والتكامل بينهما. لأن لدى كل منهما ما يمكن أن يعطيه لتقدم الإنسانية. وهو يرى أن أزمة العالم الحديث تكمن فى أن حضارة الشرق الإسلامية قائمة على المعرفة والإيمان، وحضارة الغرب قائمة على العمل والإنتاج وأن التكالب فى الغرب على الحياة المادية أدى إلى قيام الصراعات، وأن أزمة الغرب سببها أولاً: أنه يريد أن يفرض على الشرق نموذجاً حضارياً واجتماعياً وثقافياً لا يتفق مع تكوينه وطبيعته، وثانياً: لأن الغرب يعيش فى فوضى فكرية أدت إلى تعدد الفرق الدينية وشبه الدينية. وفى نفس الوقت فإن الغرب يعانى من التناقضات فى الفكر والسلوك. وعلى سبيل المثال فإن الغرب يباهى بأنه أرسى مبدأ المساواة ويكرر الحديث عن حقوق الإنسان. ومع ذلك فإن الغرب يؤمن فى أعماقه بأنه متفوق وأنه خلق ليحظى بالثروة والسيادة. كما يباهى الغرب بالديمقراطية بينما عاش على مدى التاريخ ينكر حق الشعوب الأخرى فى الحرية والاختيار ويفرض عليها مبادئه ونظمه، ويحذر رينيه جينو من أن حضارة الغرب لن تعمّر طويلاً فهى قائمة على تراكم المعرفة، وفى غياب الإيمان بالوحدانية الإلهية فإن هذه المعارف الكثيرة تؤدى إلى التشتت وهى معارف قائمة على الظواهر المادية وحدها والمادة متغيرة. والحضارة الغربية بحكم تكوينها هذا سينتهى بها المطاف بأن تدمر نفسها بنفسها بالحروب أو بأدوات الدمار التى تنتجها وتنطوى على احتمالات غير متوقعة. فكان الغرب- كما يقول- ينشئ حضارته على أرض متحركة. وهذا ما جعل الإنسان الغربى فى حالة قلق وحركة دائمة، ويبحث عن التغيير.. من أجل التغيير وكل ذلك ليس سوى تعبير عن عدم الاستقرار فى المجتمع وفى داخل النفس.



وتلخص لنا د. زينب عبد العزيز المحاضرة التى ألقاها رينيه جينو فى جامعة السوربون فى سنة ١٩٢٥ عن الميتافيزيقا الشرقية أى الإيمان بعالم ما وراء الطبيعة وفوق العقل ولا يدرك

بالحواس، ولكنه يدرك بالشعور، أو بالحدس، وبادراك الحقيقة، وهي أن الإنسان الفرد مجرد ظاهرة مؤقتة أو مرحلية. فالسلم مرتبط بالحقيقة الأزلية وبالخلود وهذا هو الفرق بين الغرب المادى والشرق المؤمن كما يقول.



وهذا المعنى الذى توقف عنده رينيه جينو وتأمل فيه طويلا هو ما توقف عنده أيضا روجيه جارودى وكان أكثر وضوحا فى التعبير عنه حين قال: إنه اكتشف أن الإسلام لا ينظر إلى أية ظاهرة فى الكون أو فى الإنسان على أنها منفصلة عن بقية الظواهر، فالكون بكل ما فيه، والإنسان بكل مكوناته الجسمية والنفسية والعقلية والروحية.. كل ذلك وحدة واحدة. وهذا ما توصل إليه العلم الحديث مؤخرا. وأسس مناهج البحث العلمى على أن الظواهر الطبيعية وكل ما فى الكون من جماد وحيوان وإنسان ومن أفلاك وكواكب كلها تُكوّن فى مجملها منظومة واحدة مترابطة ومتكاملة، وما أضافه الإسلام إلى ذلك أن هذه الحقيقة تقود إلى الإيمان بالله وبقدرته، لأن هذا النظام الكونى بالغ الدقة لا يمكن أن يكون قد نشأ عشوائيا ولا يمكن أن يستمر دون اختلال فى موازين وعلاقات هذه الظواهر إلا بوجود خالق، ومدبر حكيم قادر وقدرته بغير حدود.. وهذا هو جوهر الإيمان، ومن شاء الله أن يهديه إلى الإسلام يستطيع أن يدرك كيف أن كل شيء فى الوجود يسبح بحمد الله.

وإذا كان رينيه جينو قد توقف كثيرا عند نظرة الإسلام إلى البشر جميعا على أنهم متساوون لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود، وكلهم خلق إله واحد شاءت حكمته أن تختلف ألوانهم ولغاتهم وعقولهم لكى يتفاعلوا وبيدعوا. ورأى أن هذا الاختلاف هو قوة الدفع للتقدم. ولو كان الناس جميعا قد خلقوا بصورة واحدة ولغة واحدة وعقلية واحدة لأصببت البشرية بالعمى وفقدت التنوع والاختلاف والصراع وهى عوامل الحركة والتقدم كما علمنا القرآن: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة ٢٥١).. فإن جارودى أضاف عاملا آخر عند تحليله لأسباب القوة فى المجتمع الإسلامى فرأى أنه مجتمع لا يقوم على وحدة الثقافة، بل اتسع لثقافات متعددة عربية وفارسية وهندية ومسيحية ويهودية. ولم يرق على أساس العرق أو الجنس، ولا حتى على أساس التوسع والسيطرة على مصادر الثروة وعلى الأسواق، إنما قام على الإيمان، وبذلك استحق أن يوصف بأنه المجتمع العالمى الشامل المفتوح لكل من يؤمن بعقيدته من البشر فى كل زمان وكل مكان.

ويلفت جارودى النظر إلى أن الإسلام انتقل بسرعة مذهلة خلال عام واحد من مجتمع صغير فى مدينة واحدة إلى امبراطورية مترامية الأطراف مما أثار مشكلات جديدة لم يعرفها مجتمع المدينة مثل الانتقال من اقتصاد قائم على التجارة والسوق إلى اقتصاد نقدى أشبه بسوق إسلامية مشتركة تمتد من الهند إلى المحيط الأطلنطى.

وقد ظهرت في تلك الحقبة نخبة من جهابذة الفكر اجتهدوا لإيجاد حلول للمشاكل المستجدة. فنشأت المدارس الفقهية التي تناولت القضايا الاقتصادية والعمالات كما تناولت العبادات. ويضيف جارودي أن الحلول الإسلامية في مجالات الاقتصاد تجعله راغبا في أن يُحقيق الفشل بالانظمة الرأسمالية والاشتراكية على السواء لأنه يراها وجهين لنموذج واحد قائم على الاستغلال بينما يحقق الإسلام العدالة في صورتها المثالية.

ويطرح جارودي تفسيراً جديداً للمبدأ الذي أعلنه السيد المسيح - عليه السلام - : (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فيقول: إن هذه العبارة بالقياس إلى الزمن التي قيلت فيه تعتبر ثورة تغلب نظام الحياة الذي كان سائداً في ذلك الوقت رأساً على عقب، فقد كان القيصر الروماني إنها يعبد الناس، وهو المالك القاهر، فجاء المسيح ليقطع جانباً من سلطة قيصر الذي هيمن على النفوس كما هيمن على الأبدان والأراضي والأملاك فلم تعد له سلطة إلهية، واعتبر أتباع المسيح - عليه السلام - ذلك فصلاً جذرياً بين العقيدة والإيمان وبين الحياة السياسية والاقتصادية ولم يكن ذلك هو المقصود لأن المسيح - عليه السلام - أراد أن يربط حياة البشر بالله على أنه الخالق والمدبر والمالك لكل شيء وليس القيصر. وهذا ما فعله النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - عملياً، فلم يكن مجرد رسول لا عمل له إلا الدعوة إلى الله. بل كان - بالإضافة إلى ذلك - رجل دولة أرسى أسس المجتمع، وقد صادفته مشكلات لم تكن موجودة في عهد المسيح وفي وجود القيصر، وليس معنى ذلك أن القرآن والسنة فيهما الحلول لكل مشاكل الحياة والمجتمع بالتفصيل لأنها مشاكل تتجدد وتختلف من عصر لآخر. ولكن فيهما المبادئ والمنهج لحل المشكلات، وفيهما البوصلة التي ترشد إلى اتجاه الحركة، وفيهما توضيح لمعنى حياتنا وصلاح أعمالنا، وعلى ذلك فإن حل المشكلات التي تستجد في كل عصر هي مهمة الفقهاء.



ويناقش جارودي موقف العالم الإسلامي اليوم من القوى العظمى. ويختلف في ذلك مع رينيه جينو الذي كان يرى أن العالم الإسلامي يمكن أن يعيش ويزدهر بالإسلام وحده، ويستغنى عن كل ما يأتي من الغرب، أما جارودي فإنه يرى أن هذا هو موقف جماعات تدعو للانغلاق والانعزال للنجاة من الشرور التي تملأ الغرب، يرى أن الحل الصحيح لا يكون بنقل كل ما في الغرب، ولا بالرفض المتزمت لكل ما فيه، ولا بد من البحث والاجتهاد في كل مسألة للوصول إلى الموقف الذي لا يرفض التحديث ويتمسك بالجمود، وقانون الطبيعة يعلمنا إما التطور وإما الانقراض، وعظمة الدين الإسلامي أنه ليس ديناً مغلقاً، يكتفي بما لديه ويرفض التفاعل مع ما يطرحه كل عصر وكل مجتمع من قضايا ومشكلات، والله يضرب الأمثال للناس في القرآن ويدعوهم إلى أن يفكروا:

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم ٢٥).

ويقول جارودي: إن الإسلام فيه المرونة والقدرة على التعايش مع كل الظروف وكل العصور، وذلك بالتعامل مع النص القرآني بعقلية متفتحة، وعلى سبيل المثال فإن القرآن يأمر بالوضوء بالماء قبل الصلاة، فإن لم يجد المسلم ماءً جاز له استخدام (صعيد طيب) أى التراب، فلو شئنا أن نشرح ذلك لمسلم من سكان الاسكيمو فلا بد أن نجد له حلاً، والحل دائماً موجود مادام مسموحاً بالتفكير والاجتهاد. ولذلك فإن جارودي يرى أن العالم الإسلامي فقد مقومات القوة، ولا يقصد القوة العسكرية، أو القوة الاقتصادية، ولكنه يقصد قوة الفكر ويقول: إن الإسلام محتاج إلى ثورة فكرية تؤدي إلى صحوة وتجديد في الفكر الإسلامي خاصة أن النموذج الغربي يواجه بالرفض من حين لآخر، كما حدث في ثورة الشباب الشهيرة في فرنسا عام ١٩٦٨، وكانت هذه ثورة على النظام الغربي الرأسمالي وما يؤدي إليه من أزمات، وعلى رغم أن هذه الثورة التلقائية لم تطرح حلاً للمشكلة فإنها كانت دليلاً على وجود الأزمة، فقد كان المتظاهرون يحملون صور زعماء من خارج فرنسا.. بل من خارج أوروبا، وليس فيهم زعيم أبيض.. كانوا يرفعون صور ماوتسى تونج، ولومومبا، وعبد الناصر، وشخصيات من العالم الثالث، ليس من بينها شخصية تمثل مصدراً للإلهام بالنسبة لهذه الجماهير. ولم يذكروا ماركس ونظريته الثورية. ويبدو أن هذه الثورة كانت تتخطى على إحساس قوى بأن الغرب اغتصب لنفسه السيادة على العالم دون وجه حق، ونصب نفسه معلماً يفرض نظرياته وأفكاره على قارات العالم، وكانت هذه الجماهير تريد أن تدعو الغرب إلى الحوار مع العالم الثالث باحترام، وكان تعبير الشباب عن رفضهم للنموذج الغربي الاستعماري أنهم ساروا بملابس الرهبان البونيين وحلقوا رؤوسهم، ونظموا مسيرات أشبه باستعراض للفنون الشعبية المختلفة وسرعان ما انتشر هذا الإحساس وكأنه عدوى مما يدل على رد الفعل للنموذج الغربي، بينما يثبت الإسلام أنه بمقدوره أن يقدم البديل لنظريات المفكرين الغربيين التي تجرد الحياة من الروح والمعنى وتروج للأخلاقية، ولاعتبار الحياة وظواهرها ناتجة عن المصادفة وحدها، كما روج لذلك الفيلسوف الفرنسي جاك مونو، وهو في الأصل عالم أحياء، ويقول جارودي: لقد اشتركت معه في مناظرة في التليفزيون الفرنسي وواجهته بأنه وقع في سقطة فكرية، وأن حدود علمه تقف عند علم الأحياء، بينما هو جاهل تماماً بالتاريخ، والأخلاق، والعقيدة وخصوصاً عقيدة الإسلام.

وهناك كاتب آخر مشهور هو جان بول سارتر روج للفلسفة الوجودية ورأى أن الحياة هي مجرد عاطفة أو شغف لا يجدى، وكذلك الكاتب الشهير البير كامى الذى روج لفكرة أن الحياة شقاء ليس وراءها طائل، وأنها عبث في صورة عمل وإصرار، وجسد نظريته في عرض لأسطورة (سيزيف) البطل الذى يملك إرادة لا تعرف اليأس، ومحكوم عليه بأن يدرج حجراً ثقيلاً من سفح الجبل إلى أن يصل به بعد مجهود شاق إلى القمة فيسقط الحجر، ويعود (سيزيف) لدفع الحجر من جديد أملاً فى أن يحقق هدفه، ويظل يفعل ذلك إلى ما لا نهاية. يعلق جارودي على ذلك بقوله: إن مثل

هذه الأفكار الرائجة في الغرب تدفع الشباب إلى الإحباط واليأس، ويشعرون- كما قال فلاسفة الوجودية- بأن الحياة ليست سوى جحيم وأن الآخرين هم أيضا جحيم، وأن الإنسان يسير في حياته - بعين مغمضة - نحو هاوية لا بد منها، ومن هؤلاء من حصل على جائزة نوبل أو رشح لها، ولهم تلاميذ كثيرون اعتنقوا أفكارهم. ويتجرأ أحدهم إلى حد إعلان موت الله، كما فعل الفيلسوف الألماني نيتشه من قبل. وبعضهم يصف الإنسان بأنه مجرد دميمة على مسرح العرائس الذي نسميه الحياة!



يقول جارودي: كيف أصف هؤلاء المفكرين والكتاب؟ إنهم سفاحو الثقافة والفكر، بينما عقيدة الإسلام قادرة على إعطاء الأمل للإنسان، وشحذ عزيمته، وإرشاده إلى طريق الخير والفضيلة ووعود الإسلام بالحساب في الآخرة ثوابا أو عقابا تكفى لإعطاء الحياة أعظم المعاني. ويدعو جارودي مفكري الغرب إلى تفهم الإسلام وأن يتعلموا كيف يمكنهم الوصول إلى الروح، روح الإسلام، وحينئذ سوف تملتن نفوسهم بالأمل في الحياة وما بعد الحياة. وفي نفس الوقت يدعو جارودي المسلمين إلى أن يتحركوا ويجددوا حياتهم في ظل الإسلام وألا يستسلموا للجمود ويقعوا في عبادة الماضي. ويستشهد على ذلك بعبارة بليغة لمفكر فرنسي شهير هو جورس الذي قال: (إن إخلاص المرء لأجداده لا يكون بالإبقاء على رماد المدفأة التي كانوا يستعملونها.. بل بإذكاء جذوة النار فيها).



وفي محاضرة شهيرة في جامعة الأزهر في مارس ١٩٨٣ بدأ روجيه جارودي حديثه بعبارات قاطعة فقال: إن الإسلام اليوم هو الدين الذي مازال في حالة تقدم مستمر، وإن كان قد أصاب المسلمين الضعف في القرن الثامن في الأندلس إلا أن الإسلام ما زال ينتشر في آسيا، والهند، وأندونيسيا، وفي أماكن أبعد مثل ماليزيا، وبورما، وتايلاند، والصين، وكوريا، واليابان، وفي الفترة التي وقف فيها عبد الناصر في مواجهة الغرب حدث اندحار للاستعمار في أفريقيا وتحرر كثير من الدول وأصبحت القارة الأفريقية بأكملها في سبيلها لأن تكون قارة إسلامية. كما وصلت هذه الموجة أيضا إلى الولايات المتحدة، وآسيا الوسطى.. وهكذا فإن هناك صورة جديدة للإسلام بدأت في الظهور تكمل نهضته وتفتحه حتى في البلاد التي تسودها الضغوط السوفيتية. وعندما تتفجر هذه الآفاق سيظهر للعالم أن الإسلام حي، يستطيع مواجهة تحديات القرن، كما استجاب في الماضي لمتطلبات عصور ومجتمعات عديدة).

وانتشار الإسلام - في رأي جارودي - هو رد فعل لطغيان الغرب.. فالغرب يسيطر على العالم بدون شريك منذ خمسة قرون، وفرض نموده الحضاري، والثقافي. والنموذج الغربي للتنمية قائم

على نهب الثروات المادية والبشرية التى تمتلكها الشعوب الأخرى، مع أن شعوب الغرب تعادل خمس سكان الكرة الأرضية فقط، والغرب ينتج أى شىء بكميات كبيرة سواء كانت مفيدة أم ضارة أم قاتلة مثل الأسلحة المدمرة التى تعد سوقاً رائجة يعتمد عليها الغرب فى تحقيق الرخاء الذى ينعم به حالياً. وذلك النموذج المخيف للتنمية يكشف طبيعته الانتحارية، ففى عام ١٩٨٢ مثلاً بلغ الإنفاق على الأسلحة ٦٥٠ مليار دولار، وكان لكل فرد فى العالم ما يوازى أربعة أطنان من المتفجرات التقليدية، وأصبح من الممكن نظرياً تدمير كل أثر للحياة فى هذه الأرض، وذلك الاحتمال وإن كان بعيد الوقوع إلا أنه يحدث لأول مرة فى تاريخ البشرية، أى منذ ثلاثة ملايين سنة على الأقل ! بينما تشير إحصاءات الأمم المتحدة عن نفس العام (١٩٨٢) إلى أن الذين ماتوا جوعاً بلغوا ٥٠ مليون إنسان فى العالم الثالث، ولا يمكن تخيل صورة أبشع من هذه الصورة التى وصل إليه العالم بعد خمسة قرون من الحضارة والتقدم كما يقولون فى الغرب.



ويستنتج جارودى من ملاحظاته أن المنهج الحضارى الغربى فشل فشلاً تاريخياً. ويكمن السر فى هذا الفشل إلى أن الحضارة الغربية قائمة على اتجاه علمى وفلسفى يجعل الإنسان الفرد مركز الكون، ومقياس كل شىء. وهذا ما أفرز الفلسفة الوضعية والسياسة اليكيا فيلية -الانتهازية- الفردية (الغاية تبرر الوسيلة مهما كانت تتعارض مع الأخلاق) ويرى جارودى أن عصر النهضة لم يبدأ فى إيطاليا عند بعث الثقافة القديمة اليونانية الرومانية، كما يؤرخ الغربيون، ولكنه بدأ قبل ذلك بثلاثة قرون عندما أنشأ المسلمون الجامعة الإسلامية فى قرطبة بالأندلس (أسبانيا) وترجموا الكتب والمراجع العلمية العربية وشجعهم على ذلك القس ريموند من توليدو. وكان هذا التراث الإسلامى قائماً على التعايش بين العلم التجريبى والأديان السماوية، وأقامت أوروبا نهضتها العلمية على العلوم الإسلامية ومناهجها. ومعروف أن مؤسس المنهج العلمى التجريبى روجر بيكون اقتبس فصولاً من كتاب (الناظر) لابن الهيثم الذى توصل فيه إلى النتائج العلمية الصحيحة لتشريح العين ووظائفها وكيفية الإبصار، وقدم نظرية قلبت ما كان سائداً، فقد كان العلماء فى أوروبا يقولون: إن الرؤية تحدث بسقوط شعاع من العين على الشىء المرئى، فأثبت ابن الهيثم العكس وهو أن الرؤية تتم بسقوط الضوء على الشىء المرئى وانعكاسه على العين. وأهم من ذلك أن ابن الهيثم هو المؤسس الحقيقى للمنهج العلمى التجريبى، وقد أخذ منه روجر بيكون هذا المنهج - وكعادة الغرب نسب هذا التقدم العلمى الكبير لنفسه.

ولقد أخذ الغرب من العالم الإسلامى العلوم وأسرار التقدم التكنولوجى ولم يأخذ منه (الروح) أى الإيمان والحكمة، وهذا ما جعل العقل الغربى يصاب بالقصور فيتساءل دائماً عن (كيف) أى عن الطريقة أو الأسلوب، ويغفل عن الأسباب، فيتساءل: كيف نصنع القنبلة الذرية؟ أو كيف نذهب

إلى القمر دون أن يسأل: لماذا نصنع قنبلة ذرية؟ أو لماذا نذهب إلى القمر؟.. وهل هذه أشياء أساسية للإنسان بحيث توضع على سلم الأولويات في المقام الأول، أو يمكن الاستفادة بهذه القدرات المالية والعلمية والعقلية لتحقيق أهداف أخرى أكثر فائدة للبشرية؟



هذه هي مشكلة العقل الغربي، كما يراها جارودي، فهذا العقل تنقصه أنبل وظيفة. تلك التي تجعله يتساءل عن المعنى لحياة الإنسان وتاريخه وأعماله، وبذلك يتحقق رقى الإنسان وتقدمه، لكن فكرة الرقى أو التقدم في العقل الغربي ليس لها سوى معنى واحد هو أن كل ما هو ممكن علمياً وفنياً يجب العمل على تنفيذه. وهذا ما أدى إلى الحالة التي وصلت إليها الحضارة الغربية، فإن أعظم نتاج للعلم والفن في الغرب ليس في خدمة الإنسان، ولكنه لخدمة التنمية لمجرد التنمية ولخدمة السيطرة لمجرد السيطرة، ولخدمة العنف وممارسة القوة كهدف في حد ذاته، ولو أدى كل ذلك إلى تخريب الطبيعة والإنسان وليس إلى خلق مستقبل أفضل للإنسانية.. وينتهي جارودي من هذا التحليل إلى عبارة قاسية يقول فيها: إن حضارتنا الغربية في سبيلها إلى الموت، لأنها تملك الأساليب والمقدرة وتفتقد الغايات النبيلة والإيمان، وهذا هو الوجه الخطير لأزمة الحضارة الغربية، أزمة المعنى.. والعلماء والفنانون والكتاب الذين فقدوا الوجهة الصحيحة، متشائمون، ويجسدون هذه الأزمة بدلا من أن يساعدونا على التغلب عليها، وحتى الكبار منهم يقتلون الأمل، ويقتنعون الشباب بأنه ليس هناك معنى للحياة أو الموت.. بل إن عالما فرنسيا وصلت به فلسفته الوضعية إلى أن حاول أن يقتنعنا بأن الوجود الإنساني كله عشوائي أو تلقائي وعفوي، أي إن كل شيء في الوجود وليد المصادفة، وعلى ذلك فليس لحياة الإنسان غاية وليس لها معنى! وأكبر الفلاسفة الغربيين رأوا أن الحياة عبث والناس الذين يحيطون بنا هم (الجحيم). وهكذا أصبح الفكر الغالب في الغرب ينشر الشعور بعدم جدوى الحياة ذاتها، وأنها عبث أو سلسلة من اللامعقول.

ويرى جارودي أن هذا الإفلاس الروحي في الغرب يواجهه إفلاسا آخر في العالم الاشتراكي الذي لا يتحدث إلا عن التنمية المادية، وحتى الثقافة الاشتراكية لم تكن سوى ترديد لهذه القيم المادية متناسية للقيم الروحية في هذه الحياة.

كيف الخروج من هذا المأزق الذي أدى إلى إفلاس المعسكر الاشتراكي ويوشك أن يؤدي إلى نفس المصير للمعسكر الرأسمالي؟.

يصل جارودي إلى أن المخرج لأزمة الإنسان المعاصر هو التسامى على الماديات وربطها بالجانب الروحي المقدس، أي بالدين. والإسلام هو الذي يقدم الحل المثالي لهذه المعضلة، فهو يدعو كل إنسان للعمل في الدنيا بكل قوة كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته في نفس الوقت وكأنه يموت غداً، فيجعل

الإنسان يعيش فى الدنيا بقدوم وبالقدم الثانية فى الآخرة، فيعمل لنفسه ولحياته ويعمل لإرضاء الله ولا يفقد صلته به أبداً فى أية لحظة. والإسلام لا يعتبر المسلمين شعب الله المختار ولا يخلق دائرة المسلمين عليهم وحدهم على أساس العنصر أو الدم، لأن الإسلام موجه لكل الشعوب، فهو دين مفتوح لكل البشر وليس مغلقاً على فئة أو جماعة أو شعب بعينه.

ولذلك فإن جميع الأنبياء من إبراهيم - عليه السلام - إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - هم أنبياء الله ولا تفرقة بينهم، وهذا دليل آخر على أن الإسلام لا يتعارض ولا يتصادم مع الأديان الأخرى، بل يستوعبها ويتعايش معها. ومفهوم الإسلام ذاته ليس مقصوراً على اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -. ولكنه يشمل كل الأنبياء الذين أسلموا وجوههم لله وآمنوا به على مر العصور. كذلك فإن الإسلام ليس فيه وسيط بين العبد وبين ربه.

والإسلام - كما يقول جارودى - يقرر أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، والقائم عليها، والمسئول مسئولية كاملة عن أعماله. وله رسالة فى الوجود لا يمكن أن يؤديها إلا داخل الجماعة أو (الأمّة). فعلى المسلم أن يدرك أن الله قد خلقه ليكون مسئولاً عن الأمّة الإسلامية كلها وليس مسئولاً عن نفسه فقط. كما فى الحديث: (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً).. وهذه الأمّة الإسلامية هى أمّة من نوع جديد، فهى أمّة لا يربط بينها وحدة العنصر أو الدم أو الأرض أو وحدة الحضارة، إنما تقوم على الاختيار.. على الإيمان.. وكل عمل فى الإسلام مهما كان دنيوياً ومهما كان صغيراً فإن له أبعاده الروحية وارتباطه بالله، حتى لقاء الرجل بزوجته.



ويتوقف جارودى بفكره الفلسفى عند مفهوم (الله) فى الأديان، ويرى أن عظمة الله تتجلى فى الإسلام، فالله هو الخالق والمدير واليه المصير ليحاسب كل إنسان عما فعل، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ولا تدركه الأبصار وهو يدر الأبصار، وليس كمثله شىء، وبالتالي فلا يمكن تشبيهه بما فى البشر، فإذا تحدث القرآن عن يد الله فإنها لا تعنى اليد المعروفة ولكنها تعنى رحمة الله الواسعة وقدرته، ونحس معها بحرارة هذه اليد العليا التى تحنو على البشر أو تضرب على يد الظالم لتعيده إلى سواء السبيل. وحين يذكر القرآن أن الله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.. فإنه لا يحاول البحث عن المسافة بيننا وبين الله تعالى أو سنشعر بوجوده معنا وداخلنا وكأننا قبس من وهجه؟. وعندما نقرأ فى القرآن أن الله خلق العالم فى ستة أيام ثم استوى على العرش، فهل سنفهم ذلك وكأننا نقرأ كتاباً فى الجيولوجيا أو نتصور أن الله يمكن أن يجلس على عرش كما يجلس الملوك؟. والخلاصة أن فهم معانى القرآن يستلزم التفرقة بين ما هو إنسانى وما هو إلهى.

ومبدأ الاجتهاد من مظاهر عظمة الإسلام - كما يرى جارودي - فالقرآن والسنة يحددان المنهج والطريق، وكلما واجه الإنسان موقفاً جديداً أو مشكلة جديدة، فإن علماء الفقه قادرون على إيجاد الحلول وفقاً لمبادئ التفسير وشروط الاجتهاد، ومن مزايا الفقه الإسلامي أنه أسس علماً قائماً بذاته لا مثيل له في الأديان الأخرى هو علم أصول الفقه، وهو علم قائم على منهج دقيق، يستطيع به التوصل إلى حل كل مشكلة جديدة في إطار إسلامي سليم.

ويرى جارودي في الصلاة رموزاً لمعانٍ وقيم أسمى من مجرد الحركات الظاهرة، فالوضوء رمز للطهارة، وطهارة الأعضاء وطهارة الروح، قبل الوقوف بين يدي الله تعالى، وهي وقفة تعيد لحياتنا قيمتها الحقيقية، وتجردنا من كل ما يشغلنا ويحيط بنا من هموم، ولا يتبقى أمامنا إلا عظمة الله تعالى.. وفي حركات الصلاة معنى ارتباط الإنسان بالكون. فالإنسان يصلى واقفاً كالجبال والأشجار، ويسجد ثم يقوم كالنجوم التي تظهر وتختفي، أو كالمخلوقات التي تنحني إلى الأرض منبع الحياة. والقبلة ترمز إلى وحدة المسلمين في وجهتهم إلى بقعة واحدة من الأرض، ومواقيت الصلاة تتغير مع تغير الفصول وخطوط الطول والعرض ففي كل ساعات الليل والنهار صلاة وعبادة وذكر لله في مختلف أنحاء الكرة الأرض، ويمتلئ العالم بالتسبيح والتكبير، تنتهي الصلاة في بلد لتبدأ في بلد آخر وهكذا، فالكون كله يتردد فيه ذكر الله دون انقطاع.



ويلتفت جارودي إلى الحكمة في أن يكون ألد أعداء الرسول - صلى الله عليه وسلم - هما عمه (أبو لهب) وزوجته، وقد خلد القرآن هذه الحقيقة في سورة خاصة بهما: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ (السد ١-٥) لكي نستخلص منها عدة معانٍ، منها أن الصلة قد تكون أقوى مع من لا تربطهم رابطة القرابة والدم، وتربطهم رابطة العقيدة والإيمان، فهؤلاء صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أقرب إليه وأشد إخلاصاً له وحرصاً عليه من عمه وزوجته، ومنها أن قرابة الدم للرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تخضع لصاحبها. وها هو ذا القرآن ينذر عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزوجته بالعذاب في الآخرة بنار ذات لهب، ويبشّر بالجنة صحابته الذين لا تربطهم به صلة الدم. ومنها أيضاً أن أقرب الناس يمكن أن ينقلب عدواً.. كما حذر القرآن من ذلك في موضع آخر من احتمال أن يكون العدو هو الزوج أو الزوجة أو الابن. كما في قوله تعالى في (سورة التغابن ١٤) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ زَوْجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوِّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ ۝ ﴾ ومعنى ذلك أن العلاقة المتينة هي القائمة على العقيدة وعلى الإيمان. والمقصود من ذلك رفض العصبية القبلية والعنصرية التي كانت سائدة وما تزال حتى اليوم. كذلك فإن في قصة قارون حكمة، فقد كانت أمواله تملأ خزائن لا حصر لها ثم خسف الله به

وبها الأرض. والحكمة هنا هي تحذير البشر من تكديس الأموال دون هدف إنساني، ومن التنمية وتراكم الثروات بالجشع واستنزاف الآخرين وإهمال المحرومين كما تفعل دول الغرب الآن.

ويعلق جارودي على ذلك بأن تلك هي المبادئ التي تفتح للمسلمين في الغرب الآفاق كي يكسبوا المستقبل، لأنهم قادرون على أن يعلموا الغرب فلسفة الإسلام وهي أن الجرى وراء المادة والثروة والمتعة فقط هو الانتحار البطيء، ولا بد من العودة إلى الأبعاد الروحية لكل ما في الحياة، وإدراك ارتباط كل شيء في الوجود بالله. والإسلام يقدم الحلول لمشكلات العصر، فإنه يقضى على العصبية القومية والعنصرية في صورة راقية للإنسانية كلها يجمعها الإيمان بالله والطاعة لأوامره.



والعقبة التي تحول دون إدراك الغرب لعظمة الإسلام هي النظرة التي يحملها الغرب للإسلام منذ ألف سنة، فقد كانت في البداية نظرة الخوف منه. والخوف - كما يقال - مرشد سيئ. فالحرب الصليبية - كما قال الفكر الفرنسي ماكسيم رودنسون - أعطت صورة بغيضة عن الإسلام لدى جماهير عريضة في الغرب. وبعد فشل الصليبيين تولى المستشرقون الأوائل مهمة تشويه صورة الإسلام في الغرب. وقد قرر مجمع فيينا عام ١٣١٢ (م) تدريس اللغة العربية في جامعات فرنسا وألمانيا وبريطانيا وغيرها لدراسة الإسلام، ولم يكن ذلك بهدف تشجيع البحث العلمي أو التفاهم بين الغرب والشرق. ولكن كان الهدف هو تسهيل مهمة القائمين على تنفيذ المشروع التبشيري للمسيحية الذي قرره مجمع فيينا. وقد لعب الاستشراق دورا غامضا في خدمة الكنيسة والاستعمار وفي تقديم النصائح لصانعي السياسة في الغرب للسيطرة على دول الشرق الإسلامية. ولذلك نجد الجد الأكبر للاستشراق في أوروبا (سلفستر دي ساسي) ١٧٥٧-١٨٣٨ (م) كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية وهو الذي كان يكتب بيانات جيش نابليون في غزوه لمصر ونداءات الجيش الفرنسي للشعب الجزائري عند احتلال الجيش الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠ (م). وكان المستشرق الشهير ماكس مولر (١٨٢٣-١٩٠٠) أكبر أستاذ في جامعة أكسفورد البريطانية يقوم بتدريب وإعداد الكوادر الإدارية للحكم الاستعماري البريطاني للهند. وحتى روث بنديكت (١٨٨٧-١٩٤٨) الأستاذ بجامعة كولومبيا الأمريكية كان كتابه الشهير (السيف والأقحوان) - بطلب من مخبرات الجنرال ماك آرثر وبتمويل المخبرات - دليلا للعمل على ضم اليابان إلى إطار الهيمنة السياسية الأمريكية.

وهكذا كان المستشرقون يدرسون العالم الإسلامي ويكتبون عنه ليس بهدف البحث العلمي أو لمعرفة ثقافة وعقائد المسلمين ولكن لإعداد الإطار النظري للخطط الاستعمارية. ولذلك اتسمت الدراسات الاستشراقية بالنظرة الاستعمارية التي تعتبر الحضارة الغربية هي الوحيدة التي تستحق أن تسيطر على العالم وتقوده. وكان ذلك امتدادا للفكر السائد في الغرب المعادي للإسلام الذي بلغ

القمة في القرن الثامن عشر، فقد عبّر الفيلسوف الفرنسي ديدرو عن الرفض لكل ما يمت للإسلام بصفة، كما عبّر مونتسكيو عن نقده للإسلام، وألف فولتير كتابه (محمد) عام ١٧٤١ وملخصه: أن الرسول يمثل نموذجا للمكر الديني وأنه هو الذي وضع الأساس للاستبداد السياسي!

وهكذا لم يدرس الإسلام بموضوعية، وتأثرت النظرة إليه بالأيديولوجية الاستعمارية الغربية. وعندما جاءت الحملة الفرنسية لغزو مصر اصطحب نابليون معه باحثون وعلماء ووجه إلى شعب الإسكندرية في ٢ يوليو ١٧٩٨ بيانا قال فيه: إنه هو وجيشه هم المسلمون الحقيقيون، وادعى أنه جاء (يقاتل من أجل الإسلام). وبعد ذلك نجد كتابات تتحدث عن الإسلام بلهجة عدائية. فالكاتب الكبير شاتوبريان يقول: إن الحملة الصليبية لم تكن فقط لتخليص القبر المقدس، إنما أيضا لمعرفة هؤلاء (المسلمين) الذين يمارسون العبودية ويجهلون الحرية ويعبدون القوة وحدها. ونجد الشاعر الفرنسي الشهير لامارتين في كتابه رحلة إلى الشرق الذي صدر عام ١٨٣٣ يكتب عن حق دول أوروبا في اقتسام أرض الامبراطورية الإسلامية العثمانية بعد سقوطها وتكون لكل دولة أوروبية السيادة المطلقة على المناطق التي ستكون من نصيبها لإقامة مستعمرات أوروبية. وحتى الكاتب الكبير جيرار دي نرفال لم يجد في زيارته للشرق الإسلامي عام ١٨٤٢-١٨٤٣ سوى (الفراغ) والقليل من المعرفة). وكتب المؤلف الفرنسي الشهير فلوبيير روايته (سالامبو) ليصور ما في الشرق الإسلامي من هلوسات. وهذا ما جعل الغربيين يشعرون بأن الشرق الإسلامي متخلف إلى الدرجة التي تجعله محتاجا لمن يعلمه من جديد. وهذا ما جعل لورانس العرب- رجل المخابرات البريطانية العتيد- يقول في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة): (كنت أقصد العمل على تشكيل أمة جديدة، وأن جميع ولايات الامبراطورية العثمانية لم تكن تساوى في نظري حياة إنسان بريطاني واحد. ولقد أعدت إلى هذه الشعوب قليلا من الكبرياء، وعلمتها نمطا جديدا للحكم).



ويرصد جارودي كتابات في الغرب اتجهت إلى إنصاف الإسلام، ومحاولة فهمه، ويقول: إن هذه الكتابات كانت في ألمانيا فقط لأنها لم تستعمر بلاد المسلمين كما فعلت بريطانيا وفرنسا، وهذا ما جعل المفكر هيردر (١٧٤٤-١٨٠٣) يعترف بأن العرب هم (أساتذة أوروبا)؛ فنجد فردريك شليجل يشيد بالفنون الشرقية الإسلامية، والشاعر الألماني الكبير جوته الذي كتب عام ١٧٧٤ قصيدة في تمجيد محمد - صلى الله عليه وسلم - ودعا في كتابه (الديوان الشرقي) إلى الهجرة إلى الشرق لينهل الغرب منه شبابا جديدا. وقد أعجب جوته بالشعراء الصوفيين الكبار أمثال ابن الرومي، وحافظ الشيرازي، والسعدي، وكان المستشرق (سلفستر دي ساسي) قد ترجم بعض أشعارهم. كما كان جوته أول من قال في الغرب: إذا كان الإسلام يعني التسليم لله، فإننا جميعا نعيش ونموت على الإسلام. وأبدى الفيلسوف الألماني هيجل تقديره للإسلام لأن الله

الواحد الأحد في الدين الإسلامي يحرم التمييز العرقي والطائفي، ويحرم استعلاء طبقة على أساس الملكية وحدها، ويعود المسلمون الدقة في حياتهم بفروض أهمها الصوم والصلاة والزكاة. وكان الفيلسوف الألماني أوزوالد شبنجلر أكثر جرأه في إنصافه للإسلام في كتابه الشهير (سقوط الغرب) عام ١٩١٧ حيث قال: لم يكن لغز النجاح الخارق للإسلام بسبب اندفاعه الحربي، ولكن لأنه استوعب كل الديانات.



وينبئه جارودي إلى أن الجمود الذي أصاب المسلمين وجعلهم يتخلفون عن مواكبة التقدم والحضارة كان المبرر لهذه النظرة الاستعلائية من الغربيين، وازدادت المشكلة بأن كان رد فعل التقليديين في العالم الإسلامي مزيدا من الانغلاق والدعوة إلى العودة إلى الماضي ورفض كل جديد.. هذه العقلية المنغلقة في حقيقتها تتعارض مع روح الإسلام وهو دين مفتوح ومتجدد ولا يصادر الفكر والاجتهاد.. إلا أن الدعوة إلى رفض التفاعل مع الحضارة الغربية كان لها صداها السلبي في الغرب وخصوصا لدى من ينظرون إلى الإسلام بالريبة.



وبصراحة يقول جارودي: إن على المسيحية في الغرب ألا تنظر إلى الإسلام على أنه العدو، أو أنه القوة التي تعوق تطوراتها نحو العالمية. فالتعصب في الكاثوليكية يقابله تعصب لدى جماعات إسلامية متجاهلة أن الإسلام يتحدث عن المسيح والمسيحية باحترام. ويقول: لقد حان الوقت أن يدرك الجميع أننا نعيش رؤية توحيدية للتاريخ وأن الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - يمثلون دعوات تنبيه وإيقاظ للبشرية. ويضيف: لقد اقتبس الغرب من نور الإسلام بما نقله من علوم وثقافات العالم الإسلامي وكانت الأساس الذي قام عليه عصر النهضة في أوروبا. فلماذا يعود أصحاب الأديان إلى الوراء؟ إلى عصر التعصب الديني، والجمود العقائدي، وإغلاق العقول؟ وهل ستستمر دول الغرب في سياساتها القائمة على بناء العلاقات على أساس القوة؟ وهل يمكن أن يصبح العالم عالما إنسانيا يجمع بين المؤمنين بالله تعالى معا في مواجهة الملحدين، وينتهي عصر شريعة الغاب؟ وهل يمكن إعادة النظام التربوي لتنشئة الأجيال الجديدة على التسامح والتسامح؟ وهل يمكن أن يبحث الغرب عما يمكن أن يتعلمه من الإسلام بدلا من التركيز على أسباب الخلاف؟

ويقول جارودي: إن الغرب يمكن أن ينشئ علاقات جديدة مع العالم الإسلامي، ودعونا نأمل في تحقيق حلم عظيم، هو أن تنشأ مراكز للحوار والتفاعل مع الإسلام في دول الغرب الكبرى التي لُحقت عبقريتها بعبقرية الإسلام وثقافته وعقيدته، مثل قرطبة، وباليرمو، وباريس، فتكون

ساحات للقاء الغرب والإسلام، ولتبادل الأفكار في حوار مستمر وبدائية لعلاقات جديدة، إنسانية وحضارية بين الغرب والإسلام، علاقات تنبذ عقلية الحرب والعنف وعلاقات التابع بالمتبوع، أو المستغل بالضحية.



يكرر جارودي كثيرا الدعوة للغرب لإعادة دراسة الإسلام بنظرة منصفة، وسيجد أن الإسلام يقدم حولا عادلة وإنسانية لمشكلات البشر. ولديه الأسس التي يمكن أن يقوم عليه عالم يخلو من الحروب والعدوات والاستغلال ويعتمد على التعاون والمنافع المتبادلة. ولتعرف الغرب إلى ما لدى الإسلام؛ فإن نموذج التنمية في الإسلام قائم على البعد الإنساني وبعيد عن الاستغلال والجشع كما في نموذج التنمية الغربي. وعلى الغرب أن يتعلم من الإسلام خطأ النظرية الغربية القائلة بأن تطور التكنولوجيا وقوى الإنتاج هما الحل لمشكلات المجتمع الرأسمالي في الغرب بدون تغيير لعلاقات الإنتاج، كما توهمت الدول الاشتراكية أن تغيير علاقات الإنتاج فقط هو الحل لكل مشكلات المجتمع، وكلاهما خطأ، والنتيجة أن قوانين السوق والبحث عن أكبر قدر من الربح هما أهم سمات المجتمعات الغربية. والإسلام هو الذي يضيء على الاقتصاد الطابع الإنساني ويربط العلاقات الاقتصادية بالعقيدة والمبادئ والقيم الدينية، وهذا يعطى للاقتصاد في المفهوم الإسلامي روحا تجعله لصالح المجتمع كله وليس لصالح طبقة الرأسماليين وحدهم الذين يجمعون عوامل القوة ويتحكمون في سائر مؤسسات المجتمع السياسية والاقتصادية والعسكرية ويوجهونها لتحقيق مصالحهم وأطماعهم. ولو استمر النظام الرأسمالي في الغرب على ما هو عليه فسوف يستمر تزايد ثروات الأغنياء وفقير الفقراء، والدليل على ذلك أن الولايات المتحدة فيها ٢٠٪ من السكان الأكثر ثراء يحصلون على ٤٦٪ من مجموع الدخل، و٢٠٪ من السكان الأكثر فقرا يحصلون على ٤,٦٪ فقط من مجموع الدخل.



ويقول جارودي: إن النظام الاقتصادي والسياسي في الغرب يسمح للأغنياء باستنزاف الثروات الطبيعية والعبث بالبيئة، وسيؤدي ذلك إلى كارثة خاصة إذا استمر النظام في الغرب قائما على قانون القوة وشريعة الغاب. بينما يضع الإسلام قواعد الحماية للمجتمع وأفراده وللطبيعة وثرواتها، ففي الإسلام الله هو المالك ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة ٢٨٤) - وعلى ذلك فإن المالك ليس مالكا في الحقيقة، ولكنه وكيل عن المالك الأصلي (الله) الذي سيؤول إليه كل شيء في النهاية، وسوف يحاسب كل واحد عما جمع من أموال كانت تحت إدارته. والزكاة أداة مهمة لإعادة توزيع الثروة وحماية الفقراء وضمان الحد الأدنى من المعيشة الكريمة لهم، وهي

الصورة النموذجية للتضامن الاجتماعي، ويكفي ما حدث في عهد عمر بن عبد العزيز من وصول المجتمع الإسلامي إلى درجة من النمو وعدالة التوزيع بحيث لم يعد فيه فقير يستحق الزكاة. كما أن الإسلام لا يسمح للإنسان الفرد بأن يبحث عن مصالحه على حساب الآخرين، إنما يفرض عليه أن يحقق مصالحه في إطار مصالح الآخرين. والمساواة بين الرجل والمرأة مقررة في القرآن، فللمرأة أن تتصرف فيما تملك وهذا الحق لم يعترف لها به في التشريعات الغربية إلا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، والمرأة معفاة من الإنفاق على نفسها وعلى أسرتها. فالإنفاق مسؤولية الزوج حتى لو كان للمرأة دخل أو ثروة. وقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في طلب الطلاق إذا كرهت استمرار العشرة مع زوجها. والإسلام يقر تعدد الزوجات وهذا نظام كان موجودا قبل الإسلام فحدده الإسلام ووضع له شرطا هو العدل بين الزوجات. وأكد أن الرجل لا يستطيع تحقيق العدل، أي إن التعدد بشرطه يكاد يكون غير ممكن.. وإن كان السماح به موجودا، إلا أن قلة قليلة جدا من الرجال المسلمين هم الذين يستخدمون هذا الحق. وفي الغرب هناك تعدد معروف وعلني ولكنه غير شرعي. ويكفي التعبير القرآني عن العلاقة بين الزوجين على أنها قائمة على المودة والرحمة لنذكر كيف يقرر الإسلام قيام الأسرة على أساس من المشاعر الرقيقة السامية وليس على مجرد الغريزة وحدها.



والحقيقة أن جارودي من أعظم من أنصفوا الإسلام في العصر الحديث. ولأنه في الأصل مفكر وأديب وفيلسوف فقد استطاع أن ينفذ إلى الأعماق ويدرك الجوهر ويكشف عن عظمة الإسلام.